

بعثة الى أمريكا

٩ - جردان الصحراء

كان صديقي الحميم غائباً عن الكويت في تجارة له ببلاد الهند ، ولما علت بقرب مقدمه ذهبت في اليوم المحدد لوصوله إلى الميناء لاستقباله . وكان معي كالمعتاد زميلي الأمريكي لأنها فرصة يرى فيها أهم شيء في بلد بحري تجارى ، وأعجب زميلي بنظام الميناء وترتيب البضائع ، كل صنف في مخزن خاص به ، ولكنه لفت نظري إلى أن مياه حوض الميناء خضراء اللون ، خضرة غير عادية . فأخرجت ولم أدر كيف أعلل سر هذا الاخضرار ، ولكنني تذكرت أن هناك مطهراً أخضر اللون يلقى في مياه حمامات السباحة لتطهيرها ، فعزوت السبب إلى تلك المادة ، وحسبت أني بذلك قد تخلصت من الحرج ، ولكنه عاد فقال : ومن يضع هذه المادة ، البلدية أم الصحة ؟ . . . فقلت : لأظن هذه أو تلك ولكنني أحسبها من إدارة الميناء ، أو من السفن القادمة ، فكل سفينة تصل الميناء تلقى به قليلاً مما بها من . . . من مطهر طبعاً . . .

وأوصلنا تجوالنا في الميناء إلى الرصيف الممتد داخل البحر كأنه اللسان (الأسكلة) فوقفنا مع الواقفين ، وهنا أقبلت إحدى السفن البخارية الصغيرة «لنش» حتى حاذت الرصيف ، ففترست في وجوه من فيها ، فوجدت قليلاً من الكويتيين وكثيراً من الأجانب ، قلت على زميلي وقلت له : إنه ليس بينهم . قال : ومن هو ؟ قلت : صديقي المنتظر وصوله الآن ، فقال : وهل كنت تنتظر حضوره معهم ؟ وكيف يتسنى له عبور المحيط الهندي بين الكويت والهند يمثل هذا اللنش الصغير ؟ . فأدركت الخطأ الذي وقع فيه صاحبي وقلت له : إن الحضور من الهند يكون بالبواخر الكبيرة ، وأما اللنش الصغير فمهمته نقل المسافرين من الباخرة إلى الرصيف . فقال : ولماذا لا توصلهم الباخرة نفسها إلى الرصيف ؟ فقلت : إن عمق الماء لا يساعد على ذلك . فقال : إذن ما فائدة الرصيف ؟ قلت : ألا تعلم أن لكل ميناء في العالم رصيفاً ؟ فقال : نعم ، صحيح ، العلم نور ! ونزل ركاب اللنش واستقبل كل كويتي أهله وعارفيه وكان

لغظ وضجيج فهمت خلاله أنهم قادمون من إيران وليس من الباخرة كما توهمت ، فأخبرت صاحبي بأن اللنش قادم من المحمرة فقال : وهل المحمرة هذه إحدى جزر الكويت ؟ قلت : لا ، فقال : وهل للكويت ميناء آخر غير هذا الميناء ؟ قلت : لا ، قال : فأين رجال الجمارك إذن ؟ فسألته بدوري : وماذا تريد منهم ؟ إنهم يعملون في مكاتهم . فقال : وهل لهم عمل غير تفتيش المسافرين ؟ قلت : لا . قال : وماذا ينتظرون لتفتيش هؤلاء القادمين إذن ؟ . قلت : لا تعجل ، إن المسافرين أنفسهم سيذهبون إلى الجمرک لتفتيش عما معهم . فقال : ومتى كان المسافر يقدم مامعه ، اللهم إلا إذا كان أغني الأغنياء ، ألا ترى أنهم يستطيعون أن يعطوا مامعهم لمستقبلهم ؟ . وهنا غضبت لسوء ظنه بالكويتيين . وأفهمته كيف أن ذلك لا يحدث منهم . ولكنه عاد فقال : ولكن لا تنس أن معهم أجناب كثيرين ، وهنا ابتسمت ابتسامة مرة ، وشر البلية ما يضحك . وقلت له : اطمن يا صديقي ، إن هؤلاء لن يستطيعوا أن يهربوا شيئاً لأنهم ليس لديهم من يستقبلهم من جهة ، وليس لديهم ما يهربونه من جهة أخرى . وإذا به يصيح : فأين رجال الشرطة والجوازات ؟ فاحترت في أمره وتساءلت : ماذا تريد بهم أيضاً ؟ . فقال : ألا يصح أن يكون بين هؤلاء الغرباء ممن يتسللون إلى بلادكم من لا يحمل جواز سفر ، وقد يكون طريقهم القانون في بلاده ، لفظته لأنها لم تعد تتسع لأمثاله ، فجاء إليكم ليشارككم أقواتكم ؟ قلت : وما حيلة رجال الشرطة بهم ، إنهم لو منعوهم من النزول هنا وأعادوهم من حيث أتوا نعادوا ونزلوا في أي حوض (نقعة) يصادفهم من أحواض الكويت ، فقال : أليس لهذه الأحواض أبواب تقفل كأبواب الميناء ؟ . فقلت : للأسف لا ، وإن وجدت فلا فائدة منها ، لأنهم سينزلون على السواحل الأخرى تحت جنح الظلام ثم يتسربون إلى المدينة في الصباح . وهكذا تجدنا أمام مشكلة عويصة . فأطرق صاحبي هينة ثم رفع رأسه وهو مشرق الوجه وكأنه وجد الحل السعيد ، وإذا به . . . السور . . . السور . . . أليس للكويت سوراً

يحميها من كل مكروه؟ قلت: نعم، إن السور موجود، ولكنهم يدخلون في زى أى قروى كويتي قادم من إحدى القرى الكويتية، فأسقط في يد صاحبي، فصمت برهة، وكأنه صعب عليه أن يفشل في حل الموقف، فقال في حدة: ولكننا يا صاحبي قد وجدنا الجرك البرى داخل السور حين قدمنا الكويت. فلم أفهم قصده، وسألته ما دخل هذا بذاك؟ فقال: أليست الجمارك ومخافر الجوازات تكون دائماً على حدود البلاد لمنع دخول كل من تحدته نفسه بأن يعيث بالبلاد فساداً؟ قلت: أفهم ذلك جيداً، وكل ما عملناه نحن أننا جعلناها على حدود المدينة وليس حدود الإمارة، فقال: بالله عليك قل لي أن تبدأ حدود الإمارة فإنني لم ألاحظ ذلك حينما قدمت، فأطرقت ولعنت الساعة التي حضر فيها هؤلاء الأجانب فجررنا إلى هذا الحديث. فقلت له: إني والله لأعلم بالضبط أين تكون. فعجب من أمرى وكيف يكون شاب مثلي لا يعرف حدود بلاده. وسألني: ألم أدرس الجغرافيا؟ فأجبت: بأنى درستها وإني مستعد أن أحدثه عن أنهار أمريكا أو جبال أوروبا أو جزر استراليا... فقال: حقا إنها جغرافيا ولكن ما أفدت منها؟ ما أعجب أمركم تدرسون بلاد غيركم ولا تعلمون عن بلادكم شيئاً؟ قلت: لا تلتنى إني أدرس ما قدر لي، ولكن...

وضاعت بقية الجلسة في ضجيج من طرف الرصيف على أثر وصول أحد اللشعات، فأسرعت إليه وإذا بصديق الغائب قد حضر فأقبلت عليه مسلماً معانقاً، وسرنا جميعاً إلى الجرك، وهناك لاحظنا أن مع صديقي القادم كثيراً من السجائر الأفرنجية قد أحضرها معه، فهمس زميلي الأمريكى في أذنى قائلاً: ما بال صاحبنا لم يخف هذه العلب عند مستقبله، لاشك أنها ستكلفه غالباً الآن، فرددت عليه مطمئناً بأنها لن تكلفه سوى شيء بسيط، قال: ألم تقل إن لديكم مصنعاً للسجائر، قلت: بلى وما علاقة الضريبة بالمصنع. قال: ألا تحمون صناعتكم الوطنية، فأجبت: أولاً إن المصنع لم يفتح للآن، وثانياً ليس من مصلحتنا تشجيع انتشار الدخان برخص ثمنه، وثالثاً إننا أناس نؤمن بالديمقراطية فال مساواة عندنا في كل شيء، حتى في الضريبة فهي لا تختلف في القمح عنها في الآلات

والسيارات وغيرها، وهنا لم يكتف صاحب دهشته وعجبه، بل واستيأه من مساواتنا للأشياء مساواة الموازين التي لا تفرق بين ثقل التراب من ثقل الذهب، وقال: كيف يتساوى الغذاء الرئيسى مع السجائر، فتساوون الإثنين في الضريبة؟ ومتى كانت البافته وهي كسوة عامة الناس تماثل الحرير الذى لا يلبسه إلا كل مترف ومترفة؟ كيف تتساوون بين السكن والقمح وهما من الضروريات مع الشيكوالات والبسكويت الذى لا ترضيه إلا موائد الأغنياء؟. فقلت: وماذا عسانا أن نفعل؟ قال: هو أن تعفو هذه الضروريات من الضريبة فيعم الرخاء بلكم وينعم فقيركم كما ينعم غنيكم. قلت: ولم لا تقول نضاعف ضريبة الكماليات فنكون قد أخذنا من مال أغنيائنا لنصلح من أحوال بلادنا؟. فقال: ولكر لديكم من الذهب الأسود ما يغنيكم عن مثل هذه المضاعفة. قلت: وهل أبقت لنا شركاتكم شيئاً.. إننا.. كالعيس في البيداء يقتلها الظمى

والماء فوق ظهورها محمول

المبعوث الثاني

◎ الحق غريب في كل مكان، لذا كان قليل المعارف.

◎ من فتح له باب خير فليتنزه، فإنه لا يدري متى يغلق عنه.

◎ النجاح يحى لكل إنسان، ولكنه غير طفيلي فلا يأتي إلا بدعوة.

◎ من دلائل العجز كثرة الإحالة على المقادير

◎ الشقى من لا يثق بأحد ولا أحد يثق به.

◎ كل خسارة تعوض إلا الوقت

◎ الأمانة تجر الرزق والحياة تجر الفقر.

◎ من لا يعرض نفسه للريح أو الخسارة فهو

جبان أو صعلوك.

◎ من سمع كلمة يكرها فسكت عنها انقطع

ضررها عنه

◎ لو كان الشيطان ذهباً لتهافت الناس عليه

وتعاملوا به